ظاهرة الطرق الصوفية و التغير الاجتماعي في المجتمع الجزائري .

الأستاذة زيزاح سعيدة – جامعة الأغواط – الجزائر

مقدمة:

تعتبر ظاهرة الطرق الصوفية من الظواهر الاجتماعية الجديرة بالاهتمام من حيث ثبوتها عبر الزمان والمكان، فحول موضوعها اشتغلت مدارس العلوم الاستعمارية بكثافة بهدف استكشاف محتواها التركيبي والعقائدي[1]،

لتعرف قدرا لا بأس به من المداخلات في المناقشة العلمية حول ظهور عدة طوائف وجماعات وفرق إسلامية ولكل منها منهجيتها وطريقتها الخاصة في التفكير والتعبير، وتنظيم شؤونها.

وبانتشار هذه الطرق الصوفية كان على أصحابها أن يقيموا مكانا خاصا لتثبيت أفكارهم الصوفية لتقدم لمختلف فئات المجتمع وكان المكان المخصص لهذه الطرق الصوفية محددا بحيز يدعى بالزاوية وهو معروف بالمغرب العربي، وبالرباط أو الخنقاة في المشرق العربي. بها نظام خاص وبرنامج يسير شؤونها فكانت بمثابة مراكز التعليم، حيث فتحت أبوابها لطلاب العلم والمعرفة وأنفقت عليهم.

وإذا ما نظرنا من الناحية الاجتماعية فنجد أن الطرق الصوفية عملت على إزالة الخلافات بين مختلف فئات المجتمع وفك النزاع بين العشائر والقبائل.

وبذلك كثرت في المدن والأرياف الأضرحة والزوايا والقباب التي تؤدي دورا اجتماعيا كإيواء العجزة والمساكين والغرباء، ليكون بذلك الشيخ الذي يترأس أو يمثل الطريقة الصوفية هو بمثابة المسؤول والحاكم بين الأفراد، والذي يفصل في جميع القضايا والخلافات الاجتماعية.

ولقد تناولت الكثير من الدراسات تاريخ هذه الطرق الصوفية، فمنهم من يرى أنها المجتمع مغلق مبني على عصبية دينية قبلية ومنهم من يرى أنها فئة تشبه الجماعة الضاغطة، تستند على الدين لتحقيق أهداف دنياوية في السياسة والمصالح الدينية. وهناك من يرى بأنها رؤية جديدة للدين تهدف إلى ترسيخ تعاليم الإسلام، الدعوة والعودة إلى السنة المحمدية في الحياة، كلها رؤى تدور حول موضوع الطرق الصوفية.

نتناول في هذا الفصل نشأة الطرق الصوفية، ظهور الطرق الصوفية في العالم الإسلامي. ومن هذا المنطلق إرتئينا تقديم مداخلة تبحث في تاريخ الطرق الصوفية منذ ظهورها في المشرق العربي وصولا الى المغرب العربي .

أولا : نشأة الطرق الصوفية :

إذا كان التصوف الإسلامي الذي نشأ منذ القرن الثاني الهجري في بدئه مقصورا على الحياة الزهدية القائمة على الاعتزال والتأمل فقط، تطور ليصبح منهجا دينيا محددا، واتجاها نفسيا وعقليا معينا، وظل كذلك إلى بداية القرن الثاني عشر ميلادي حيث ظهر نظام الطريقة عند هؤلاء المتصوفين المسلمين، فكان هناك الشيخ والمريد أو السالك، ونشأت بعض الحلقات من كبار الصوفية إما في حياتهم أو بعد مماتهم.. وقد ظهر اهتمام المتصوفة بالسلاسل وخاصة بعد أن ضعف التصوف واحتاج الأمر إلى سند يجلب احترام المريدين وإعجاب الناس، وهذه السلاسل الكثيرة والتي أوردها المتصوفة تنتظم في سندها المتصوفين المعروفين من أول التصوف إلى

وقت تنظيم الطرق الصوفية، ومن ذلك ما يورده ابن مريم في البستان عن أبي مدين شعيب قوله: "كرامات الأولياء نتائج معجزات سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) وطريقتنا هذه أخذناها عن أبي يعزي يسنده عن الجنيد عن سري السقطي عن حبيب العجمي عن الحسن البصري عن علي رضي الله عنه عن النبي (صلى الله عليه وسلم) عن جبريل عليه السلام عن رب العالمين جل جلاله".

وكذلك ما أورده الشيخ مصطفى باشا تارزي القسنطيني الكرغلي عن الطريقة الرحمانية وسندها حيث يذكر مايربو عن خمسة وثلاثين شيخا صوفيا. [1]

وقد تميزت هذه الطرق الصوفية عن التصوف القديم، حيث أنها تبنت طابعا خاصا وأسلوبا معينا ومحددا في الوصول إلى الفناء والشهود، وهي في ذلك تختلف عن طابع وأسلوب غيرها وإذا كان بعض هذه الطرق قد أسس قبل الغزو المغولي656هـ (1258 م) فإنها تعددت وانتشرت وتشعبت منذ القرن الرابع عشر ميلادي. وفي أنحاء العالم الإسلامي، وكان أول من نادى بها وأسسها الشيخ عبد القادر الجيلاني في بغداد. حيث كان التصوف في أساسه صوفية تأملية وعاطفية، وهو كتنمية منظمة للخبرة أو التجربة الدينية، فهو ليس نظاما فلسفيا، رغم أنه طور مثل هذا النظام، ولكن "الطريقة" وهي طريقة التطهير وهذه الناحية العملية وقد انتشرت التعاليم والممارسة في أنحاء العالم الإسلامي خلال نمو طرق خاصة والتي نشرت بين الناس وسط التعاليم الدينية، وكحركة دينية فقد تعرضت لنواح كثيرة.

-إن تأسيس الطرق الصوفية أو الفرق هو النظام والعلاقة بين الشيخ والمريد وقد كان طبيعيا إلى أن تقلب لسلطة وإرشاد أولئك الذين انتهجوا مراحل "مقامات" الطريق الصوفي. ويقول شيوخ الطريقة إن كل إنسان قد ورث بداخله إمكانية تحرره من

النفس والاتصال بالله – عز وجل – ولكن هذا يكون كائنا وساكنا ولا يمكن إطلاقه إلا عن طريق إشراقات خاصة منحها الله لمن يشاء بدون إرشاد من المرشد. وكان الشيوخ الأوائل أكثر اهتماما بالتجربة أو الممارسة عنهم بوضع النظريات النيوصوفية، ولقد استهدفوا الإرشاد بدلا من التعليم، موجهين المريد إلى طرق التأمل وبها يكتسب بنفسه استبصار الحقيقة الروحية ويكون محصنا ضد أخطار الأوهام[1].

لقد ظهر اتجاهان متقابلان مميزان هما، الاتجاه الجنيدي والاتجاه البسطامي أو العراقي أو الخوراساني. ولكن يجب أن يؤخذا بجدية شديدة أو يسميان مدارس فكرية وذلك باسم كلا من أبي القاسم الجنيد وأبي يزيد البسطامي، اللذين أحاطا بالتخيلات أو التصورات أكثر من أي من معاصريهم، وقد اعتبر هذان على أنهما يجسدان التقابلات بين الطريق الصوفي القائم على التوكل والطريق القائم على السلامة بين الغيبة والصحو بين الأمين وبين المشتبه، بين الإشراف والالتزام بين الخلوة والصحبة، بين التأليه الشامل والوجدانية، بين الهداية في ظل مرشد من أهل الدنيا والهداية في ظل شيخ روحي – رغم الاختلافات بين تعاليم البسطامية والجنيدية عن الآداب الصوفية – فإن الجنيد قد اعتبر شيخ الطريقة، وهو الجـــد المشتـــرك لمعظـــم جماعات الصوفية اللاحقين، وحتى رغم أن كثيرا من الفرق تابعت تعاليمها ابتداعيا وهراطقية، فإن إدخاله في أصول هذه الجماعات كان ضما، فالاستقامة ومراعاة الجذور للإسناد الصحيح يمكن أن يدعم العديد من الهرطقات. وكانت هذه الجماعات مفككة متقلبة للغاية، وقد سافر أعضاؤها على نطاق واسع بحثا عن الشيوخ، وكان بعضهم يكتسب بطريقة والبعض الآخر استعان بالصدقات، ولكن وجدت الأوقاف التي عملت كمراكز لهؤلاء المتجولين، وفي المناطق العربية ألحق الكثير من هذه الأوقاف بمواقع الحدود أو الفنادق المسماة أربطة، أما في خرسان فكانت مرتبطة بالاستراحات أو الخنقاوات – جمع خانقاة – بينما كان

الآخرون القائمون بالرياضة الروحية (الخلوة أو الزاوية) كل هذه المصطلحات جاءت لتعني مقرا أو مكانا للموجه أو المرشد الروحي[1].

ثانيا : ظهور الطرق الصوفية في العالم الإسلامي :

1. الطريقة القادرية:

إنها أول طريقة دينية صوفية ظهرت في العالم الإسلامي وسميت بالقادرية نسبة إلى مؤسسها الشيخ محي الدين أبي محمد عبد القادر الجيلاني – بن أبي موسى الحسني المولود في جبل أوجلان بالقرب من مدينة بغداد عام 471 هـ – 1078 م، والمتوفى عام 561 هـ – 1166 م ببغداد. وقد قام بأداء فريضة الحج في سن مبكرة.

وكان الجيلاني ملجأ للبؤساء في حياته وبعد مماته، حيث ظل طوال حياته متواضعا ورحيما بالآخرين، وسندا للفقراء والمساكين، وبعد مماته وليا يستنجد به التعساء وكل من يشعر بالآلام والمتاعب، وقد عاش فقيرا بالرغم من الثروات التي كانت تتدفق عليه من هدايا المريدين والزوار، لأنه كان يوزعها باستمرار على المحتاجين.

ويعد الشيخ عبد القادر الجيلاني الولي الأكثر شعبية والذي يحضى على مستوى العالم الإسلامي بالإجلال من بين الشخصيات الصوفية الإسلامية مما جعل أحد مقدمين الطريقة القادرية يصرح بقوله: "لو لم يختر الله سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) ليكون خاتم الأنبياء، لبعث سيدي عبد القادر نبيا"[1].

ولعل ما يدل على شعبيته تلك الألقاب الكثيرة التي لقب بها كسلطان الأولياء أو سلطان الصالحين، وقطب الأقطاب وملك البر والبحر، ركن الإسلام وغيرهما. وقد ازدادت كراماته اتساعا وانتشارا بعد مماته حيث نسبت إليه كرامات لا تحصى لذا نجد

اسمه يذكر في كل زمان ومكان، فالمرأة أثناء آلام الوضع والمسافر والعامل وكل من تعرض لحادث ما يهتف بالشيخ عبد القادر، وحتى الشحاذ يستعطف الناس في سواله بعبد القادر.

وفي كل عام يقوم مريدون في أنحاء العالم الإسلامي بإحياء ذكرى مولده فيحجبون إلى قبره في كل جهة، ففي أماكن كثيرة في المغرب الأقصى والجزائر يتجه الناس إلى زيارة الزوايا والقباب المنسوبة إليه في الأشهر الأولى من الربيع.

و لم يكن عبد القادر رجل خير وإحسان فحسب، وإنما كان أيضا عالما وأستاذا وداعية كبيرا للصوفية حيث ترك عددا من المؤلفات في ميداني التصوف والشريعة، وقد كان يفتي في القضايا المختلف فيها في المذهبين الشافعي والحنبلي، وقد انتهت إليه الإمامة في العراق. وقد تصدى الجيلاني للتدريس في بغداد فترة من الزمن ولكنه لما رأى أن التعليم لم يشبع روحه المتوقدة الطموحة فقد حمل عصا الترحال وأخذ يطوف بالعالم الإسلامي مبشرا بتعاليمه الصوفية، مؤسسا بذلك طريقة دينية انتشرت في أنحاء العالم الإسلامي شرقا وغربا. ففي المغرب العربي نجد أن عدد المساجد والزوايا والقباب والأضرحة التي تحمل اسم الشيخ عبد القادر كبيرا جدا.

ففي إقليم وهران وحده يوجد أكثر من مائتي زاوية وقبة تحمل اسمه بغض النظر عن المساجد، وقد أدى شدة اعتقاد المسلمين فيه إلى مضاعفتهم للمؤسسات القادرية الدينية التي تحمل اسمه انتشرت الطريقة في المغرب العربي و مصر والأندلس، لستقر في مصر أحد أبناء الشيخ عبد القادر الجيلاني، وهو الشيخ عيسى مؤلف كتاب "لطائف الأنوار" في التصوف، أما عن طريق الأندلس فقد لعبت ذرية ولديه – إبراهيم وعبد العزيز – دورا كبيرا في نشر تعاليم القادرية في المغرب العربي بعد هجرتهم من الأندلس إلى فاس.

ويختلف (Coppolani) مع (Rinn) في هجرة إبراهيم بن عبد القادر الجيلاني إلى الأندلس، حيث يرى أن إبراهيم قد جاء من المشرق مباشرة إلى فاس، ومنها انتقل إلى منطقة الأوراس بالجزائر لنشر تعاليم الطريقة وهو الذي أسس زاوية المنعة بها. ويلاحظ أنه بالرغم من استقلال مقاديم فروع القادرية في أنحاء المغرب العربي، فإن المقر العام للطريقة القادرية ظل دائما في بغداد، وظلت وحدة التقاليد والممارسات المتمثلة في الحضرة والذكر واحدة. ومن وقت لآخر كان يزور هذه الفروع "رقاب" من الزاوية الأم وكان هؤلاء الرقاب يحققون في الغالب مهمتهم الأساسية تحت ستار التجارة، وهم مزودون بسلطات تخول لهم الحق في تثبيت المقاديم، وعزلهم وتوجيههم حيث يتركون لهم تعليمات روحية ويرتحلون.كان مقاديم هذه الفروع في الجزائر يعينون خلفاءهم حينما يحسون بدنو أجلهم، وإذا فاجأهم الموت قبل ذلك فيقوم الإخوان باختيار المقاديم عن طريق الانتخاب أثناء الحضرة، ثم يطلب هؤلاء المقاديم الجدد مصادقة شيخ الطريقة ببغداد أو يذهبون بأنفسهم للحصول على التصديق و لم يحدث أن رفض شيخ الزاوية الأم المصادقة على اختيار أحد الإخوان مقدما. وتنظيم الطريقة القادرية عددا لا يدخل تحت حصر من الأتباع في العالم الإسلامي، وخاصة في المغرب الأقصى والجزائر، حيث نجد زواياها منتشرة في كل من توات وأدرار في الجنوب الجزائري، وفي الغزوات ووهران وفي الميلية والأوراس بالغرب والشرق الجزائريين، ومما يدل على انتشار الزوايا القادرية هو ذلك الإحصاء الرسمي الذي أورده (Rinn) عن الطريقة سنة 1882 م حيث بلغ عدد زواياها بالجزائر 29 زاوية و268 مقدما وبلغ أتباعها: 14574 خونيا. وقد عرف عن الطريقة القادرية بأنها تتسم بالتساهل والتسامح مع الأديان الأخرى، حيث كان المؤسس يردد دائما قوله: "ينبغي علينا أن ندعو لا لأنفسنا فحسب ولكن لكل من خلقه الله مثلنا".

ومما يثبت ذلك قول: (Rinn) في هذا الصدد: "أننا لا نجد في تعاليمه "الجيلاني" أية إشارة معادية للمسيحية"، ولعل هذا هو السر الذي جعل الطريقة القادرية لم تلعب دورا سياسيا يذكر في العهد العثماني بالرغم من الشعبية الكبيرة التي كانت تتمتع بها في الجزائر، حيث أن شخصية عبد القادر الجيلاني عمت الجزائر وتغلغل اسمه في نفوس أغلب أفراد الشعب بالرغم من قلة زواياها، إذا ما قيست ببعض الطرق الأخرى كالرحمانية.كما أنه من الراجح أن القادرية هي الطريقة الأم في الجزائر نظرا لقدمها وكثرة دعاتها ولشعبية مؤسسها الأول وكان في مقاديمها الشيخ محي الدين بن المختار والد الأمير عبد القادر الذي تزعم المقاومة المسلحة ضد فرنسا ، وتحققت على يديه الوحدة الوطنية[1].

2. الطريقة الخلواتية:

الخلواتية فرقة شعبية قائمة على احترام المرشد ، واشتهرت بدقتها للحسم في تدريب الدراويش، وفي نفس الوقت تشجيعها للانفرادية، وبالتالي فقد تميزت بعملية اقتسام ولعادة الانقسام بشكل مستمر، لكن أصولها غامضة أو غير معروفة إذ أنها تفتقد الشخصية المرشدة الرئيسية التي تقف خلفها مثل باقي الطرق، لكنها تعتمد على ارتباطها الصوفي في التراث الملاماتي، وترجع في أصلها إلى أشباه الزهاد الفرس أو الأكراد أو الأتراك شبه الأسطوريين على التوالي مثل إبراهيم خان(الجيلاتي) ومحمد نور الخلواتي و(ظاهر الدين) "عمر الخلواتي" فإذا كان الأول هو البير* الأكبر صفي الدين (توفي في 133 هـ) مؤسس الصوفية فإن تاريخ الغرفة يعطينا القليل من المعلومات فقد كان اسمه الحقيقي هو إبراهيم بن رو شان السبخاني وقد توفي بين (690 – 700 هـ) (1291 – 1300 م) كان دور يش متجولا مترابطا

* – **PIR**: بير كلمة فارسية معناها الأكبر، وتطلق على الشيخ أو المرشد الصوفي في إيران والهند.

بالسلسلة السهر وردية وقد أمضى صفي الدين أربع سنوات بحثا عن هدايته قبل لحاقه نهائيا بالطريقة بين تلال جيلان فإن عمر الخلواتي قيل أنه توفي حوالي 1397 م – 800 هـــ) في قيصرية سوريا يعتبر هو المؤسس بمعنى أنه هو الذي صاغ القواعد الصوفية للذين حملوا هذا التكليف كما توجد كذلك إشارة إلى آخر هو يحي الثرواني (توفي في 1406 م) وهو مؤلف "ورد الستار" الخلواتي ومعلم عمر الروشافي بكونه الشيخ الثاني لذلك فإن هذه الطريقة لم تكن لها مؤسس مطلقا أو رئيس واحد أو مركز محدد ولكن بعض الصوفية المقيمين في الصوامع في منطقة أردبيل[**]، ذكروا أن نظامهم الزاهد ارتبط اسمه في هذه الطريقة بوحدة مدرسة صوفية كان تركيزها الأساسي على الزهد الفردي والخلوة وكطريقة مميزة فإنها انتشرت أولا في شروان وبين الزكمانيين في أذربيجان ثم انتشرت في مقار طوائف متعددة في الأناضول ثم سوريا مصر والحجاز واليمن ودار الانتصارات العثمانية. وفيما يلي الطوائف الخلواتية الأناضولية الأساسية:

الأحمدية: أحمد شمس الدين بنماتية (توفي 1504 م – 910 هـــ)

السنبلية: سنبلسنان يوسف (توفي 1529 م – 936 هـــ) شيخ تكبه خوجا مصطفى باشا في اسنبطول، وقد خلفه مصلح الدين مركيز موسى توفي (1552 م – 959 هـــ).

السنا نية: إبراهيم أبو سنان، توفي (1551 م – 958 هـــ) أو 1557 م – 985 هـــ الاعت باشية: شمس الدين أعين باشا توفي 1544 م – 951 هـــ.

الشمباتية: شمس الدين أحمد سيواس توفي سنة (1601 م – 1010 هـــ) وسميت أيضا التورية السواسية.

[**] – أدرب يل: أقصى بلدان أذربيجان شرقا.

الشعبانية: شعبان الوالي (1569 م – 977 هـ).

الجراحية: نور الدين محمد الجراح، توفي (1733 م – 1146 هـ) (1720 م – 1133 هـ) في اسطنبول وسميت النور الدينية.

الجمالية: محمد جمال الدين أقصر الدرنوي المولود في أسبانيا. وقد تأسست أول زاوية الخلوتية في مصر على يد إبراهيم جولستي من أصل تركي ، لكن أثناء القرنين الثاني عشر الهجري والثامن عشر الميلادي فإن الانتعاش الخلوتي قد نشر الغرفة بين المصريين والتي امتدت داخل الحجاز والمغرب، وهناك خلوتي سوري كان زائرا مترددا على مصر يسمى مصطفى بن كامل الدين البكري، وقد سعى لتكوين أكثر تماسكا وذلك بربط الجماعات المختلفة في فرقته البكرية أما تابعوه الرئيسيين فقد أنشئوا فرقتهم بعد وفاته، وكان من هؤلاء هم محمد بن سامي الحفني أو الحفناوي (توفي 1767 م – 1181 هـ). وعبد الله الشرقاوي، ومحمد بن عبد الكريم عاش في الفترة من (1718م–1775م) الذي عرفت أنظمتهم على التوالي بأسماء الحفناوية، الشرقاوية والسمائية هي:

الرحمانية: ظهرت في الجزائر، تونس، أسسها أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان، الجوشتولي الجرجوري (28/1718 – 1793م) وهو تابع للحفناوية وقد حدث تطورها المميز في عهد الخليفة علي بن عيسى (توفي 1837م) ولكن بعد ذلك أصبحت الزوايا المختلفة مستقلة.

الدويرية: أحمد بن محمد العدوي الدوير عاش في الفترة من 1715م/1127هـ – 1786م – 1201 هـ) وتسمى أيضا السباعية باسم خليفته، أحمد السباعي العيان وكلاهما دفنا في نفس الضريح.

الصاوية: أحمد بن محمد الصاوي (توفي في المدينة 1825 م/1241هـ) هو تلميذ الدوير وأحمد بن إدريس وقد تمركزت في الحجاز.

الطيبية: وهي فرع ظهر في السودان ومؤسسها هو أحمد الطيب بن البشير (توفي 1824م/1239 هـ) تلميذ السماني. وهناك فروع مصرية صغيرة أخرى ضمت الضيفية، والسلمية والمقازية أما البيرامتية فقد نمت داخل نفس التراث مثل الخلواتية فهي "طريقة" مستقلة حيث أن حاجي بيرام الأنصاري اشتق من خط صفي الدين الأربلي أما فروعه الروحية فقد ضمت:

الشمسية: شمس الدين بن محمد بن حمرة، خليفة حاجي بيرام.

الأشرفية: عبد الله بن أشرف بن محمد.

العشافية: حسن حسام عشافي، توفي في اسطنبول.

الجلوثية: عزيز محمد هدائي.

الملامية: البيرامية (شيخ عمر سكيني من نجدة).

البيرامية، الشطارية: اليزيد عبد الباقي[1].

ثالثا: أهم الطرق الصوفية بالمغرب العربي :

1 .الطريقة الرحمانية:

طريقة دينية صوفية تفرعت عن الطريقة الخلواتية، ونسبت إلى مؤسسها الشيخ محمد بن عبد الرحمان القشتولي الجرجري الأزهري المعروف "ببوقبرين"[1] المولود حوالي سنة

1720هـ في قبيل "آيت إسماعيل" التي كانت جزءا من خلف قشتولية في قبائل جرجرة. وقد زاول دراسته الأولى في مسقط رأسه بزاوية "الشيخ الصديق وأعراب" في بني إيراثن ثم واصل تعلمه في الجزائر العاصمة.

وفي عام 1152 هـ "1739 م" توجه إلى المشرق لأداء فريضة الحج وفي عودته استقر بالجامع الأزهر فترة طويلة مترددا إلى عدد من العلماء وشيوخ التصوف أمثال الشيخ محمد بن سالم الحفناوي، وقد أصبح محمد بن عبد الرحمان مريدا وتلميذا له حيث أدخله الطريقة الخلواتية وعهد إليه أكثر من مرة بالقيام بمهمة الدعوة الدينية في السودان والهند وخاصة السودان، حيث أطال فيها الإقامة، ونجحت دعوته نجاحا كبيرا.

وبعد غياب طويل عن وطنه دام أكثر من ثلاثين عاما عاد إلى الجزائر وذلك عام 1183 هـ، 1769 م بعدما تلقى الأمر من شيخه الحفناوي بالعودة إلى بلده والقيام بنشر الدعوة الخلواتية. وبمجرد وصوله إلى مسقط رأسه "أيت إسماعيل" أسس زاوية وشرع في الوعظ والإرشاد وبث الدعوة الدينية الجديدة، وقد التف حوله جموع الناس من سكان "جرجرة" المستقلين عن السلطة العثمانية، ولقيت دعوته نجاحا كبيرا في المنطقة، فازدادت شعبيته بسرعة وكثر أتباعه ومريدوه. وقد انتقل بعد ذلك إلى "الحامة" إحدى ضواحي العاصمة ولا يعرف السبب الحقيقي الذي حمله على مغادرة مسقط رأسه فمن المحتمل أنه فعل ذلك فرارا من خصومه المرابطين الذين ناصبوه العداء لما حققه من نجاح أصبح يهدد نفوذهم في المنطقة، أو لأنه تأكد من دعوته ومهما يكن فقد أسس في الحامة زاوية وأخذ في نشر تعاليمه الصوفية الخلواتية إلا أن رسوخ تعاليمه وانتشارها في المنطقة ليستقر بالقرب من العاصمة و وسع دائرة نشاطه سرعان ما أثار ضده معارضة شديدة تزعمها المرابطون والعلماء، إذ كانوا ينظرون بحسرة واشمئزاز إلى نشاطه ودعوته حيث يرون بأنها تنافسهم وتهدد نفوذهم ومكانتهم.

وقد استبدت بهم الغيرة للنجاح الذي أحرزه الداعية الجديد فقاموا ينددون بدعوته واتهموه بالانحراف عن الدين الحق، ونجحوا في إرغامه على المثول أمام مجلس العلماء أملين الحصول على فتوى ترغمه على العدول عن نشر تعاليمه الصوفية الجديدة إلا أن المجلس أصدر فتوى لصالحه برأه من تهمة الزندقة والانحراف، ويعود ذلك إلى عاملين يتمثل أحدهما في السخط الذي انتشر في بلاد القبائل حينما علم السكان بما يحاك للشيخ من مؤامرات، الأمر الذي جعل الأتراك يقررون عدم إثارة هؤلاء السكان الخطيرين، وخاصة أنهم كانوا يؤلفون حلفا قويا وهو حلف قشتولة المناهض لسلطتهم، فأوعزوا إلى مجلس العلماء لهذه الاعتبارات السياسية بتبرئه[1]. أما العامل الثاني فيتمثل في شهرة ابن عبد الرحمان كولي وعالم أكسبته أنصارا كثيرين في العاصمة استطاعوا أن يؤثروا على العلماء والحكام الأتراك فأصدروا فتوى لصالحه، وأغلب الظن أن هذه المعارضة الشديدة التي واجهها ابن عبد الرحمان في العاصمة تعود إلى عدة عوامل منها:

أولا: ابن عبد الرحمان من أبناء الريف، وقد نزح إلى المدينة، لذا كان لابد أن يلقى معارضة من أهل الحضر كالمرابطين والعلماء خوفا على ضياع نفوذهم ومكانتهم.

ثانيا: خوف الأتراك من أن قبيلته تنتمي إلى حلف قشتولة وبالتالي فهي لا تخضع لحكمهم بل معادية لهم، وبهذا الغرض أثار الأتراك العلماء والمرابطين ضده ليقتلوه.

ثالثا: أن دعوته الدينية الجديدة تبعث على إحياء الوحدة الروحية والوطنية التي طالما عمل الأتراك من أجل عدم تحققها طوال حكمهم حتى لا تكون خطرا على سلطانهم ونفوذهم، ولذا حاولوا بكل الوسائل وضع حد لنشاطه الصوفي.

وبالرغم أن مجلس العلماء قد برأه فإن ابن عبد الرحمان رأى أن الحكمة تقتضي منه العودة إلى مسقط رأسه فعاد سريعا إلى زاويته الأولى ببلدة "آيت إسماعيل" وقد شعر

بدنو أجله، فبعد ستة أشهر من عودته جمع مريديه وأخبرهم بقرب أجله وعين من يخلفه في منصبه، وهو سي علي بن عيسى، وأوصاهم بطاعته والاستماع إليه والانقياد له، وأشهدهم بأنه منحه سلطاته الكاملة وأودعه كافة أسراره وبركاته، قائلا لهم: "يا أولادي إني أشعر بأن حياتي قد أشرفت على النهاية، فإن الذي خلقني يدعوني إليه، فغدا تنتهي حياتي وقد دعوتكم لأقول لكم ما أنتظره منكم. لقد عينت لكم خلفا لي وهو الرجل الذي أثبت لي طوال حياتي إخلاصا تاما، فهو الذي سوف يكون شيخا عليكم بعدي أطيعوه واستمعوا إلى آرائه إنه رجل خير، وأشهدكم جميعا أني أضع في مكاني سي علي بن عيسى المغربي، مانحا إياه سلطتي الكاملة فهو خليفتي الذي أودعته أسراري وبركاتي فأطيعوه طاعة كاملة ذلك لأنه وجهي ولساني". ونشير إلى أن ابن عبد الرحمان لم يحصر نشاطه في نشر دعوته الدينية الصوفية على منطقة بلاد القبائل والعاصمة فحسب، وإنما مد نشاطه أيضا إلى إقليم الشرق الجزائري، حيث قام بتعيين خليفة له من أبناء قسنطينة وهو الشيخ مصطفى بن عبد الرحمان بن الباش تارزي الكرغلي، فقام هذا الأخير بنشر تعاليم الطريقة في الإقليم الشرقي، حيث نصت عدة مقادم أشهرهم محمد بن عزوز في واحة البرج قرب بلدة طولقة*. وهكذا توفي ابن عبد الرحمان عام 1208 هـ – 1793 م، تاركا خلافة الطريقة لرجل من أصل مغربي، وأغلب الظن أنه عمد إلى هذا الاختيار لأنه لم يجد في أسرته ولا بين مواطنيه من يتمتع بقيم روحية، وقادرا على مواصلة رسالته مثل تلميذه المغربي، أو لأنه خشي أن من يعهد إليه بالخلافة من أفراد أسرته وعشيرته لا يلقى الطاعة والانقياد بسبب المنافسة بين القبائل، أو كان يخشى أن يتعرض هو للنقد لأنه جعل الخلافة في الطريقة وراثية، ومهما يكن فقد ازدادت الطريقة نجاحا بعد وفاته واتسعت دائرة نفوذها مما زاد في هياج الأتراك وحمقهم فأسفوا لأنهم لم يقضوا على هذه الشخصية الخطيرة في الوقت الذي كان الأمر بأيديهم. ولذا

* بلدة طولقة موجودة بالقرب من بسكرة الواقعة في الجنوب الشرقي للجزائر.

فقد قاموا بمحاولة لوضع حد لتدفق الزوار من كل مكان على الزاوية الأم بـــ"آيت إسماعيل" وهو ما كان يبعث في نفوسهم القلق والذعر خاصة في منطقة معادية لهم فرأوا أن يقوموا باستخراج جثمانه من القبر ودفنه في العاصمة أو ضواحيها لتحويل الأنظار عن الزاوية الأم، وبالتالي التقليل من الخطر الذي يهددهم من جبال بلاد القبائل، هذا فضلا عن أن دفنه في العاصمة ييسر على الأتراك مراقبة أتباعه أثناء احتفالهم بمولده، وفعلا فقد دفعوا بثلاث مجموعات من "إخوان" العاصمة لهذا الغرض، فاستطاعت إحدى المجموعات نقل جثمانه إلى "الحامة" حيث دفن في احتفال مهيب ثم بنوا عليه مسجدا وقبة، على أن سكان قرية "آيت إسماعيل" حينما تحققوا أن الجثة لم تفارق قبرها الأصلي – وكانوا قد نبشوا القبر – اعتقدوا أن جثة شيخهم قد ازدوجت وهو ما يعد تتويجا لكرامته، وسرعان ما انتشر نبأ هذه الكرامة، ومنذ ذلك الحين لقب محمد بن عبد الرحمان بـــ"بوقبرين" وقد استطاع خليفته الأول علي بن عيسى الذي بقي مدة 43 عاما في منصبه "1208 – 1251 هـــ" أن يدير الزاوية الأم بكل حكمة ونجاح، وحافظ على الإدارة العليا للزاوية وأكسب الطريقة انتشارا كبيرا واتساعا في النفوذ سواء في وسط البلاد أو في شرقها وجنوبها، إلا أن موته أفقد إدارة الزاوية الالتحام والوحدة، حيث أن خلفاءه لم يستطيعوا بسط هيمنتهم على مقاديم الزوايا البعيدة التي أعلنت استقلالها عن الزاوية الأم، وذلك نتيجة لضعف شخصية هؤلاء الخلفاء من جهة وسياسة الاحتلال الفرنسي من جهة أخرى، حيث عرفت تمزيق وحدتها لكن بالرغم من هذه الانقسامات فإن الطريقة ازدادت توسعا وانتشارا وبشكل سريع للغاية حيث تضاعف أتباعها وخاصة في الشمال الشرقي للبلاد. وقد بلغ عدد أتباع الطريقة 156214 خونيا في عام 1898، ومن أهم مراكزها في العهد العثماني الأخير: الحامة قرب العاصمة، وآيت إسماعيل ببلاد القبائل، وزاوية صدوق بناحية سطيف، قسنطينة، والبرج قرب طولقا، وأولاد جلال، وخنقة سيدي ناجي، وتقع المراكز الثلاث بالواحات. ومما يذكر أن الطريقة الرحمانية تزعمت الثورات في العهد الفرنسي وساندت الطرق الأخرى،

وخاصة في ثورة المقراني 1871، وقد تميزت دون الطرق الصوفية الأخرى باهتمامها الكبير بنشر التعليم واللغة العربية في الزوايا[1].

2. الطريقة الشاذلية:

أسسها المتصوف الشهير الشيخ أبو الحسن المعروف بالشاذلي (1196 م – 1258) نسبة إلى شاذلة بتونس، الذي كان فيها مبدأ ظهوره وانتشار دعوته، ولد بقرية "غماره" القريبة من مدينة "سبة" في المغرب الأقصى[2]، تلقى الطريق عن أبي عبد الله بن مشيش (ويقال أيضا بشيش بالباء) طاف ببلدان المغرب العربي وأدركته المنية وهو في طريقه إلى الحج، ببلدة "القصير" على شاطئ البحر الأحمر في قرية يقال لها "حميره"، وله ضريح يزار ويتبرك به، وتعتبر الطريقة الشاذلية المتصلة بالإمام القاسم الجنيد من أسلم الطرق الصوفية أقربها إلى السنة. انتشرت زواياه في المشرق والمغرب، وله أتباع ومريدون منتشرون في الجزائر وعدة أقطار أخرى، وفي المغرب الأقصى تعتبر الطريقة الرسمية إلى جانب المذهب المالكي في الفقه، والعقائد الأشعرية في التوحيد.

وقد انفرد بعض شيوخ هذه الطريقة بإنشاء زوايا على إسمهم، وأشهرهم الشيخ علي النور اليشرطي الذي ولد بتونس (1793م – 1898 م) وبعد أن طاف بالبلدان العربية استقر أخيرا بمدينة "عكا" في فلسطين، حيث أسس زاويته سنة 1862م وانتشرت الطريقة اليشرطية في بعض البلدان الشامية مما أزعجت الحكومة العثمانية، فأمر أحد الولاة العثمانيين بنفي الشيخ اليشرطي إلى قبرص، فأقام فيها ومن معه ثلاث سنين، وسعى الأمير عبد القادر الجزائري للإفراج عنه، لكنه لم يلبث وأن تجددت حركته، فنفتهم الحكومة العثمانية إلى ليبيا وأعيدت إليه حريته، فرجعوا إلى طريقتهم واستمروا

على ذلك حتى توفي عام 1898 م وقبره في زاويته بـــ"عكا" بفلسطين. والطريقة اليشرطية أصبحت اليوم طريقة مشهورة، ولها أتباع ومريدون كثيرون في سوريا، وقد أصبحت الزاوية اليشرطية اليوم من جملة ما صادره اليهود من أراضي المسلمين و مقدساتهم و أوقافهم، ثم آلت مشيخة الطريقة إلى ابنته فاطمة اليشرطية التي استقرت ببيروت، ثم بعد وفاتها إلى الأستاذ أحمد اليشرطي الذي يجمع بين الثقافتين العصرية والدينية[1].

- **طريقة درقاوة الشاذلية:**

طريقة دينية صوفية تفرعت عن الطريقة الشاذلية المنسوبة إلى الشيخ أبي الحسن علي الشاذلي، المتوفى (656 هـــ – 1258 م) تلميذ وخليفة الشيخ عبد السلام مشيش الذي تتلمذ بدوره على أبي مدين شعيب، صاحب المقام الأول في نشر تعاليم الجنيد الصوفية وتعاليم الشيخ عبد القادر الجيلاني، ويعتبر أبو مدين الرئيس الأقدم للطرق الصوفية المنتشرة في الجزائر، ويرى العلماء أن الطريقة الشاذلية أو الدرقاوية وغيرهما من الطرق الدينية الأخرى في المغرب العربي تعد كإرث روحي لأبي مدين الشعيب، وقد سميت بدروقاوية أو الدرقاوية نسبة إلى مؤسسها الشيخ العربي بن أحمد بن الحسين بن محمد بن يوسف الملقب بـــ:"أبو درقاوي" الشريف الأريسي. وقد ولد العربي بن أحمد الدرقاوي في قبيلة بني زروال بضواحي مراكش بعد عام 1150 هـــ /1737 م، اشتغل كمدرس في مدرسة في فاس. ويتردد إلى دروس الصوفي علي بن عبد الرحمان الجمال الفاسي، آخر الشيخ للسلسلة الصوفية التي تمتد إلى أبي مدين شعيب الذي أعطى دفعة جديدة للطريقة الشاذلية حققت لها الانتشار في المغرب بعد أن انصرف الناس عنها إلى الطرق الأخرى كالطيبية، ويرى الكثيرون أن علي بن عبد الرحمان الجمال هو المؤسس الحقيقي لطريقة "درقاوي" وقد أصبح العربي الدرقاوي تلميذا ومرشدا ثم صديقا

وخليفة لابن عبد الرحمان الفاسي، حيث حول هذا الأخير إليه كافة سلطاته الروحية قبل وفاته، وقد اشتهر العربي الدرقاوي بالاستقامة والزهد في متاع الدنيا واحتقار السلطان "الوظائف" وذلك ما أوصاه به شيخه السابق الذكر كما كانت أعماله مطابقة لمبادئه، وبمجرد أن تسلم السلطة الروحية من شيخه، بادر في تأسيس زاوية له "ببوبريح" وأخذ يجمع أتباعه ومريديه، في طريقة جديدة وضع لها نظمها وقواعدها الخاصة، وانطلق في نشر دعوته الدينية المستمدة من تعاليم الشاذلية، فحقق نجاحا كبيرا، حيث ازداد أتباعه بسرعة في جميع المناطق المغربية وخاصة في شمال المغرب الأقصى والمناطق الغربية من الجزائر كوهران ومستغانم وتلمسان وتيارت. ويتميز أتباعه عن غيرهم باللحية الطويلة ولبس الخرق والعقد ذي الحبات الخشبية الكبيرة وحمل العصا، وكان الواحد منهم يكنى بـــ"أبو دربالة". وكان يوصي مريديه بذكر الله والصبر على الجوع وكبح شهواتهم بالصوم، وأن يرغبوا عن الدنيا وملذاتها وعن أصحاب السلطان وينصرفوا إلى أهل التقوى والورع دون سواهم وقد لعبت الطريقة دورا سياسيا هاما في المنطقة حيث أنها لقيت تشجيعا كبيرا من سلطان المغرب الأقصى مولاي سليمان الذي اتبع في سياسته الاعتماد على رجال الدين والإشراف بتقريبهم إليه، فكان انتشار أتباع الطريقة بالمغرب الأقصى وغرب الجزائر بمثابة حصن يحمي سياسة سلاطين مراكش من خطر الأتراك بالجزائر. ونظرا إلى أن نظم الطريقة تدعو إلى السلم والابتعاد عن الاضطرابات والمشاركة في الثورات ضد الحكام، فقد حاول العربي بن أحمد الدرقاوي (1220هـــ – 1805 م) عن طريق الرسائل والمبعوثين أن يعيد خليفة عبد القادر بن الشريف – الذي قام بثورة عارمة على الأتراك في غرب الجزائر – إلى الخط الأكثر اتساقا مع نظم الطريقة، إلا أنه لم يفلح وعاد إلى زاويته "بوبريح". وقد توفي عام 1239 هـــ /1823 م ودفن بزاويته بوبريح التي أسسها بنفسه، وقد ظلت هذه الزاوية الأم تتمتع بسلطان إداري وروحي على سائر الزوايا الفرعية. والواقع أن طريقة درقاوة الشاذلية لم تنتشر في

الجزائر إلا في مطلع القرن التاسع عشر ميلادي، وكان انتشارها على يدي عبد القادر بن الشريف الذي لمع اسمه أثناء الثورة التي قام بها في الغرب الجزائري.

وينتمي ابن الشريف إلى قبيلة سيدي بالليل بوادي العبد وكان قد سافر إلى المغرب وتتلمذ على يدي محمد العربي بن أحمد الدرقاوي في زاوية "بوبريح" حيث أخذ عنه الذكر. وبعد أن قضى مدة من الزمن كمدرس القرآن في الزاوية المذكورة، أجازه شيخه وكلفه بنشر تعاليم طريقة درقاوي الشاذلية، حيث عاد إثر ذلك إلى الجزائر، وبدأ نشر دعوته الدينية التي لقيت نجاحا كبيرا حيث ذاع صيته بين القبائل وأقبلت عليه تبايعه وتؤيده مما ساعده على القيام بالثورة ضد بايات الغرب الجزائري دامت أكثر من عشر سنوات. وقد بلغ عدد زوايا طريقة درقاوي أو الشاذلية في الجزائر حسب إحصاء عام 1882 م اثنين وثلاثين زاوية يشرف عليها مائتان وثمانية وستون مقدما ويبلغ مريدوها 14574 مريد، وهي تتساوى في ذلك مع القادرية في عدد المقاديم والأتباع وأهم فروع الدرقاوية هي الكتانية والحراقية والهبرية[1].

- **الطريقة القلندرية:**

وهي تنسب إلى "قلندرة يوسف" عربي أندلسي، عاصر الحاج بكتاش مؤسس الطريقة البكتاشية وقد ظهرت هذه الطريقة لأول مرة في دمشق سنة 610 هـــ. وكان أتباعها يحلقون لحاهم وحواجبهم، فمنهم سلطان الناصر حسن (حفيد قلا وود)، وكان زيهم مزيجا من الزي الفارسي والمزدكي، أما أخلاقهم فكانت في منتهى الانحلال، بحيث أنهم لا يتقيدون بشعائر الدين، مما جعل الناس يمقتونهم ويحاربونهم، ولذلك لم يكتب لهذه الطريقة الانتشار والتأثير في مجال العمل الصوفي.

- **الطريقة البكتاشية:**

أسسها الحاج بكتاش الصوفي، ولد بنيسابور، ودرس في خرا سان، وأخذ عن الشيخ لقمات الصوفي، ثم هاجر إلى الأناضول وتوفي فيها سنة 738 هـــ، وكان لهذه الطريقة صلة قوية بالانكشارية، حتى قيل أن عددا كبيرا من هؤلاء اعتنق الإسلام على يد الحاج بكتاش في عهد أو رخان، وتقوم عقيدة هذه الطريقة على مزيج من تعاليم الإسلام والمسيحية، لذا كان الاعتراف بخطاياهم لشيوخهم على طريقة الاعتراف لرجال الكهنوت النصارى[2] وقد انتشرت هذه الطريقة بين صفوف الجند الانكشاري، الذين لهم ثكنة في تونس يجمعون فيها، والظاهر أن هذه الطريقة انقرضت من تونس بانقراض الانكشارية(منذ قرابة ما يزيد على مائة عام).

- **الطريقة العيساوية:**

وهي التي أسسها الشيخ محمد بن عيسى (872 – 933 هـــ) ارتحل به والده إلى مدينة فاس ليتعلم القرآن الكريم، فخالط الشيوخ وعاشرهم وتلقى علومهم، ثم قصد قبيلة سفيان حيث التقى الشيخ أبا العباس أحمد بن عمر الحارثي المكناسي صاحب الشيخ القطب محمد بن سلمان الجزرولي، وأخذ عنه الطريقة بالعهد والصحبة، وتربى على يده بالطريقة الجزولية المحمدية، وللطريقة العيساوية زاوية كبيرة في مدينة تونس تدعى شيحة باسم شيخها "علي شيحة".

وتعتبر هذه الطريقة من فروع الطريقة الرفاعية التي أسسها الشيخ أحمد الرفاعي المتوفى سنة 578 هـــ، وقد قيل أن أتباعها يضربون أنفسهم بالمدى في حالة الغيبوبة، ويأكلون الزجاج، ويقبضون الحديد الحمى ويزدردون الأفاعي.

- **الطريقة الشابية:**

صاحب هذه الطريقة الشيخ أحمد بن مخلوف، نشأ في بلدة "الشابة"، ثم انتقل إلى مدينة تونس طلبا للعلم، فقضى فيها أعواما.

ويذكر أن الشيخ أحمد كان يتردد على الولي أحمد بن عروس، وقد جاء مرة لزيارته فوجد في مجلسه رجالا ونساء في وضع لم يعجبه، فأنكره ...ويبدو أن الولي بن عروس أزعجه إنكار بن مخلوف ذاك، فخرج ابن مخلوف إلى الساحل والتحق بشيخ آخر من الصوفية هو الشيخ "علي المحجوب"، وكان صاحب بستان وأغراس، فاستخدمه عنده حتى أثمر غرسه، فصار يدعي ظهور الكرامات ... عندها طلب إليه شيخه أن يذهب إلى القيروان بعد أن أذن له بالعهد، فأقام جامع (صفير) ألدواز فقيرا، وقد توفي سنة 803 هـ، فخلفه على المشيخة ولده محمد الكبير، إلا أنه توفي بعده بثلاث سنوات، فخلفه أخوه الشيخ عرفة، وقد اشتغل هذا الأخير بالسياسة، وأراد الاستيلاء على الحكم لتأسيس دولة على غرار دولة المرابطين أو الموحدين إلا أن عدم استقرار الأوضاع في البلاد قد وقف ضده، إذ كانت دولة بني حفص في انحلال، والهجوم العثماني كان قد بدأ لطرد الأسبان المحتلين من البلاد. وتوفي الشيخ عرفة في 949 هـ وهو على عداوة مع سكان مدينة القيروان، فلما أراد أخوه أبو الطيب محمد المسعود استيلام مقاليد الزعامة استنجد أهل القيروان بالقائد التركي "داغوث باشا"، فقتله، وفرق أشياعه. وظلت جنود الأتراك تطارد "الشابين" حتى تفرقوا في عدة بلدان. ثم عادوا واستقروا بضاحية من مدينة توزر حيث اشتهر كثيرون منهم بالعلم والأدب"[1]

3.الطريقة السنوسية:

مؤسس هذه الطريقة هو سيدي محمد بن علي أبو عبد الله السنوسي، الخطابي الإدريسي (1787 م – 1859 م) ولد بمستغانم، ثم انتقل إلى فاس بالمغرب، و تابع تكوينه الديني والصوفي، حيث تصوف على يد الشيخ عبد الوهاب التازي، ثم ما لبث أن شد رحاله للطواف بأرجاء صحراء الجزائر الكبرى، لوعظ الناس ودعوتهم إلى إصلاح نفوسهم،

والتخلص من التقاليد البالية، والتحرر من الاستعمار ومن الصحراء انتقل إلى تونس وطرابلس و"برقة" بليبيا، ثم إلى مصر، ومنها قصد مكة المكرمة حيث أدى فريضة الحج، وأعلن تصوفه وبنى هو في مكة زاويته الأولى بجبل أبي قبيس، وفي سنة 1839 قفل عائدا إلى البرقة، حيث أقام بناحية الجبل الأخضر، وأسس هناك "الزاوية البيضاء" التي عرفت فيما بعد باسم "البيضاء"، وقد بعد صيته وكثر أتباعه حتى توخت الدولة العثمانية خيفة من حركته، مما اضطره إلى الترحال إلى واحة "جغبوب" خوفا من بطشها وانتقامها، حيث بنى زاويته التي قضى فيها بقية حياته، ولا يزال ضريحه يزار داخل زاويته[1].

يكثر أتباع هذه الطريقة في الجنوب الجزائري الكبير، وتأتي بعدها الطريقة التجانية من حيث الأهمية والعدد، كما يتواجد السنوسيون عامة في كامل الشمال الإفريقي ومصر والسودان، ونجد بعضهم في المشرق العربي كالعراق والبلدان العربية الأخرى، وقد أسس محمد بن علي ابن السنوسي الخطابي، مؤسس الطريقة السنوسية زاوية السنوسية في جبل الأخضر (الموجود بالصحراء الليبية) ليأسس في ما بعد عشرات الزوايا في المنطقة، ثم أخذت السنوسية طريقها إلى الجنوب التونسي عبر الصحراء الليبية، وانتشرت بسرعة في مصر ثم الحجاز وللعلم أن الطريقة السنوسية وصلت حتى الجنوب الجزائري بمنطقة "عين صالح" ثم غدامس "وتوات"[2].

وانتشرت طريقة السنوسية بسرعة، مما جعل الحكومة العثمانية التركية ترتاب بأمره، فلما أحس بذلك انتقل إلى واحة جغبوب حيث بقي فيها حتى وفاته، وتولى بعده مشيخة الزوايا السنوسية ابنه محمد المهدي (1260 – 1320 هـ/1844 م – 1902 م) الذي قاوم الجيش الفرنسي قبل سنة من وفاته في ضواحي كانم وتشاد و تولى المشيخة بعده حفيده أحمد الشريف بن محمد الشريف.

خاتمـــة :

إن الطرق الصوفية تقوم بالدعوة بين القبائل بواسطة دعاة في أشكال وأنماط مختلفة كالتجارة وغيرها، بينما لا يقوم المرابطون بأي نشاط من هذا القبيل، أما من حيث الرئاسة فتنتقل عادة لدى المرابطين إلى ذريتهم من بعدهم بحكم انتقال البركة إليهم أبا عن جد بينما يتولى رئاسة الطريقة الصوفية أصلح المريدين من تلاميذ الشيخ ومساعديه، ولا سيما ممن يكونون قد تولوا منصبا في الطريقة. وهذا ما حدث بالنسبة للطريقة التجانية، حيث أودى الشيخ أحمد التجاني بخلافة الطريقة التجانية إلى المقدم الحاج علي بن عيسى وهو من "ينبع" بالحجاز. كما منح الشيخ محمد بن عبد الرحمان الطريقة الرحمانية إلى المقدم الشيخ سي علي بن عيسى وهو مغربي من المغرب الأقصى، و لم يمنحها لأقربائه.

هذا بالإضافة إلى أن الطرق الصوفية لها نظام إداري يشبه النظم الإدارية لحكومات ذلك العهد، وخاصة فيما يتصل بالمناصب وجباية المال وتسخير الأتباع في إستثمار أملاك الطريقة أو الزاوية من الأراضي المحبوسة عليها. وكذلك فيما يتصل برعاية الأتباع وتسييرهم كما أن للطرق الصوفية أسرار كأسرار الدولة لم يكن يطلع عليها سوى الذين يتولون شؤونها من رجال الطريقة بينما لا يوجد شيء من ذلك لدى المرابطين. ولقد كان الكثير من الطرق الصوفية المستقلة تأثير محلي محدود فقط، ولكن الطرق الصوفية التي ذكرت آنفا قد كانت لها خطوط التأسيس التي تدعى طرق مميزة للفكر الصوفي والممارسات الروحية من خلال هذه الطرق فإن الرسالة الصوفية قد توسطت العالم الإسلامي.

ومن خلال ما ذكر عن الطرق الصوفية نتناول في الباب الميداني الطريقة التجانية بالتفصيل والتحليل ونركز على الجانب الإجتماعي والتربوي لها.

المراجع المعتمد عليها :

1–قلوم مكي: "الزوايا سلطة في غياب السلطة"، جريدة الحقيقة، العدد 105، 1996، ص 15 2–
مختار الطاهر فيلالي: المرجع السابق ، ص 33.

3– سبنرتر منجهام: الفرق الصوفية في الإسلام ، ترجمة عبد القادر البحراوي ، دار النهضة العربية، بيروت، ط1 ،1997.ص 25.

4–سبنرتر منجهام: المرجع السابق ، ص 28.
5–مختار الطاهر فيلالي:) نشأة المرابطين و الطرق الصوفية ، دار الفن القرافيكي ، للطباعة و النشر، باتنة ، ط1، 1976. ص 3

6–مختار الطاهر فيلالي: المرجع السابق ، ص 38.

7–سبنرتر منجهام: المرجع السابق ص 137.
8–سميح عاطف الزين الصوفية في الإسلام، الشركة العالمية للكتاب ، لبنان ط4 ،1993. ص558

9–مختار الطاهر فيلالي ، المرجع السابق ، ص 42
10–مختار الطاهر فيلالي: المرجع السابق ص 45.
11–أحمد النبقشدي : الطرق الصوفية تحقيق : أديب نصر الله ، مؤسسة الانتشارالعربي ط1 بيروت 1992ص 40
12–عمار هلال : الطرق الصوفية ،و نشر الإسلام ، منشورات وزارة الثقافة و السياحة ، مديرية الدراسات التاريخية ، و إحياء التراث ، الجزائر ، 1984. ص 107.

13مختار الطاهر فيلالي، المرجع السابق، ص 55.
14–سميح عاطف الزين ، المرجع السابق ، ص 551

16–سميح عاطف الزين، المرجع السابق، ص 553

17–المرجع السابق، ص 562.
18–عمار هلال ، المرجع السابق،ص129.